

تَقْسِمَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ٦-٧-١٤٠٤ ٤

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

سورة آل عمران

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- قوله تعالى لا إله إلا هو الحي القيوم، قد مر الكلام فيه في تفسير آية الكرسي، و تحصل من هناك أن المراد به بيان قيامه تعالى أتم القيام على أمر الإيجاد والتدبير، فنظام الموجودات بأعيانها وآثارها تحت قيمومة الله لا مجرد قيمومة التأثير كالقيمومة في الأسباب الطبيعية الفاقدة للشعور بل قيمومة حياة تستلزم العلم والقدرة، فالعلم الإلهي نافذ فيها لا يخفى عليه شيء منها والقدرة مهيمنة عليها لا يقع منها إلا ما شاء وقوعه و أذن فيه،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

قيومة التأثير

كالقيومة في الأسباب
الطبيعية الفاقدة للشعور

قيومة الله

قيومة حياة تستلزم
العلم و القدرة

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و لذلك عقبه بقوله بعد آيتين: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و لما كانت هذه الآيات الست فى أول السورة على طريق براعة الاستهلال مشتملة على إجمال ما تحتويه السورة من التفصيل - و قد مر ذكر غرض السورة - كانت هذه الآية بمنزلة تصدير الكلام بالبيان الكلى الذى يستنتج به الغرض،

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

سورة آل عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ
السَّمَاءِ (٥)

سورة آل عمران

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
 كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

• كما أن الآيتين الأخيرتين أعنى قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ «إِلخ» بمنزلة التعليل بعد البيان،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و على هذا فالكلام التى يتم به أمر براءة الاستهلال هما الآيتان المتوسطتان أعنى قوله: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَى قَوْلِهِ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.
- و على هذا فيعود المعنى إلى أنه يجب على المؤمنين أن يتذكروا أن الله الذى آمنوا به واحد فى ألوهيته قائم على الخلق و التدبير قيام حياة، لا يغلب فى ملكه و لا يكون إلا ما شاء و أذن فيه

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فإنهم إذا تذكروا ذلك علموا أنه هو المنزل للكتاب الهادى إلى الحق، و الفرقان المميز بين الحق و الباطل، و أنه إنما جرى فى ذلك على ما أجرى عليه **عالم الأسباب، و ظرف الاختيار**، فمن آمن فله أجره، و من كفر فإن الله سيجزيه لأنه عزيز ذو انتقام، و ذلك أنه الله الذى لا إله غيره حتى يحكم فى هذه الجهات، و لا يخفى عليه أمرهم، و لا يخرج عن إرادته و مشيئته فعالهم و كفرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- قوله تعالى: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قد تقدم في سورة الحمد بعض الكلام في لفظ الجلالة، وأنه سواء أخذ من **أله الرجل** بمعنى **تاه** ووله أو من **أله** بمعنى **عبد** فلازم معناه الذات المستجمع لجميع صفات الكمال على سبيل التلميح.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و قد تقدم بعض الكلام في قوله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، في قوله تعالى: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» البقرة - ١٦٣، و ضمير هو و إن رجع إلى اسم الجلالة لكن اسم الجلالة لما كان علما بالغلبة يدل على نفس الذات من حيث إنه ذات و إن كان مشتملا على بعض المعاني الوصفية التي يلمح باللام أو بالإطلاق إليها، فقوله: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يدل على نفي حق الثبوت عن الآلهة التي تثبت من دون الله.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و أما اسم الحي فمعناه ذو الحياة الثابتة على وزان سائر الصفات المشبهة في دلالتها على الدوام و الثبات.
- [في معنى الحياة، و حياته تعالى].
- و الناس في بادئ مطالعتهم لحال الموجودات وجدوها على قسمين: **قسم** منها لا يختلف حاله عند الحس ما دام وجوده ثابتا كالأحجار و سائر الجمادات،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- **قسم** منها ربما تغيرت حاله و تعطلت قواه و أفعاله مع بقاء وجودها على ما كان عليه عند الحس، و ذلك كالإنسان و سائر أقسام الحيوان و النبات فإننا ربما نجدها تعطلت قواها و مشاعرها و أفعالها ثم يطرأ عليها الفساد تدريجاً،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و بذلك أذعن الإنسان بأن هناك وراء الحواس أمرا آخر هو المبدأ للإحساسات و الإدراكات العلمية و الأفعال المبتنية على العلم و الإرادة و هو المسمى بالحياة و يسمى بطلانه بالموت، **فالحياة نحو وجود يترشح عنه العلم و القدرة.**

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و قد ذكر الله سبحانه هذه الحياة في كلامه ذكر تقرير لها، قال تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ **يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**:» الحديد - ١٧، و قال تعالى: «أَنْتَ عَمَّا تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ **إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ**:» فصلت - ٣٩ و قال تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي **الْأَحْيَاءُ** وَ لَا الْأَمْوَاتُ:» الفاطر - ٢٢، و قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ **حَيٍّ**:» الأنبياء - ٣٠، فهذه تشمل حياة أقسام الحي من الإنسان و الحيوان و النبات.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- وكذلك القول في أقسام الحياة، قال تعالى: «وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا»: يونس - ٧، و قال تعالى: «رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ»: المؤمن - ١١ و الإحياء ان المذكوران يشتملان على حياتين:
- إحداهما: الحياة البرزخية،
- و الثانية: الحياة الآخرة،
- فللحياة أقسام كما للحى أقسام.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و الله سبحانه مع ما يقرر هذه الحياة الدنيا بعدها في مواضع كثيرة من كلامه شيئاً ردياً هيناً لا يعبأ بشأنه كقوله تعالى: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» الرعد - ٢٦، و قوله تعالى: «تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» النساء - ٩٤، و قوله تعالى: «تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» الكهف - ٢٨، و قوله تعالى: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» الأنعام - ٣٢، و قوله تعالى: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» الحديد - ٢٠.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فوصف الحياة الدنيا بهذه الأوصاف فعدّها متاعاً و
المتاع ما يقصد لغيره، و عدّها عرضاً و العرض ما
يتعرض ثم يزول، و عدّها زينة و - الزينة - هو الجمال
الذى يضم على الشيء ليقصد الشيء لأجله فيقع غير ما
قصد و يقصد غير ما وقع، و عدّها لهوا و - اللهو - ما
يلهيك و يشغلك بنفسه عما يهيك، و عدّها لعباً و
اللعب هو الفعل الذى يصدر لغاية خيالية لا حقيقية، و
عدّها متاع الغرور و هو ما يغر به الإنسان.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و يفسر جميع هذه الآيات و يوضحها قوله تعالى: «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاءُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ:» العنكبوت - ٦٤، يبين أن الحياة الدنيا إنما تسلب عنها حقيقة الحياة أى كمالها فى مقابل ما تثبت للحياة الآخرة حقيقة الحياة و كمالها، و هي الحياة التى لا موت بعدها، قال تعالى: «آمَنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى:» الدخان - ٥٦

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- ، و قال تعالى: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» ق- ٣٥، فلهم في حياتهم الآخرة أن لا يعترِيهم الموت، و لا يعترضهم نقص في العيش و تنقص، لكن الأول من الوصفين أعنى الأمن هو الخاصة الحقيقة للحياة الضرورية له.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فالحياء الأخرية هي الحياة بحسب الحقيقة لعدم إمكان طرو الموت عليها بخلاف الحياة الدنيا، لكن الله سبحانه مع ذلك أفاد في آيات أخر كثيرة أنه تعالى هو المفيض للحياة الحقيقية الأخرية و المحيي للإنسان في الآخرة، و بيده تعالى أزمة الأمور، فأفاد ذلك أن **الحياة الأخرية أيضا مملوكة** لا مالكة و مسخرة لا مطلقة أعنى أنها إنما ملكت خاصتها المذكورة بالله لا بنفسها.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و من هنا يظهر أن الحياة الحقيقية يجب أن تكون بحيث يستحيل طرو الموت عليها لذاتها و لا يتصور ذلك إلا بكون الحياة عين ذات الحي غير عارضة لها و لا طارئة عليها بتمليك الغير و إفاضته، قال تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ:» الفرقان - ٥٨ و على هذا فالحياة الحقيقية هي الحياة الواجبة، و هي كون وجوده بحيث يعلم و يقدر بالذات.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و من هنا يعلم: أن القصر في قوله تعالى: «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» **قصر حقيقي** غير إضافي، و أن حقيقة الحياة التي لا يشوبها موت و لا يعترئها فناء و زوال هي حياته تعالى.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فالأوفق فيما نحن فيه من قوله تعالى: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الآية، وكذا في قوله تعالى: «الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ:» آل عمران - ١ أن يكون لفظ الحي خبرا بعد خبر فيفيد الحصر لأن التقدير، **الله الحي** فالآية تفيد أن الحياة لله محضا إلا ما أفاضه لغيره.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- [فى معنى القيام على الأمر، و قيوميته تعالى.]
- و أما اسم القيوم فهو على ما قيل: فيعول كالقيام فيعال من القيام وصف يدل على المبالغة و - القيام - هو **حفظ الشئ و فعله و تدبيره و تربيته و المراقبة عليه و القدرة عليه**، كل ذلك مأخوذ من القيام بمعنى الانتصاب للملازمة العادية بين الانتصاب و بين كل منها.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و قد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمور خلقه لنفسه في كلامه حيث قال تعالى: «أَفَمَنْ هُوَ **قَائِمٌ** عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ:» الرعد - ٣٣، و قال تعالى و هو أشمل من الآية السابقة -: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ **قَائِمًا** بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَزِيزُ الْحَكِيمُ:» آل عمران - ١٨،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فأفاد أنه قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطى و لا يمنع شيئاً فى الوجود (و ليس الوجود إلا الإعطاء و المنع) إلا بالعدل بإعطاء كل شىء ما يستحقه

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- ثم بين أن هذا القيام بالعدل مقتضى أسميه الكريمين:
العزیز الحکیم فبعزته يقوم على كل شيء و
بحكمته يعدل فيه.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و بالجملة لما كان تعالى هو المبدئ الذى يتدى منه وجود كل شىء و أوصافه و آثاره لا مبدأ سواه إلا و هو ينتهى إليه، فهو القائم على كل شىء من كل جهة بحقيقة القيام الذى لا يشوبه فتور و خلل، و ليس ذلك لغيره قط إلا بإذنه بوجه، فليس له تعالى إلا القيام من غير ضعف و فتور، و ليس لغيره إلا أن يقوم به،

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- فهناك حصران: حصر القيام عليه، و حصره على القيام، و أول الحصرين هو الذى يدل عليه كون القيوم فى الآية خبرا بعد خبر لله (الله القيوم)، و الحصر الثانى هو الذى تدل عليه الجملة التالية أعنى قوله: لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

- و قد ظهر من هذا البيان أن **اسم القيوم أم الأسماء** الإضافية الثابتة له تعالى جميعا و هي الأسماء التي تدل على معان خارجة عن الذات بوجه كالخالق و الرازق و المبدئ و المعيد و المحيي و المميت و الغفور و الرحيم و الودود و غيرها.